



عناصر الموضوع

777	مفهوم السمع
۳۷۳	السمع في الاستعمال القرآني
377	الأنفاظ ذات الصلة
***	اقتران السمع والبصر
474	السمع في حق الله عز وجل
٣٨٠	مسؤولية السمع
۳۸۳	أساليب ذكر السمع في القرآن الكريم
TAY	مجالات السمع

مفهوم السمع

أولًا: المعنى اللغوي:

السمع: مصدر سمع، والسمع: حِسَّ الأذن (١)، يقول الله تعالى: ﴿ أَمَّ لَهُمَّ عَاذَاتُ يَسْمَعُونَ بَهُ الله عَالى: ﴿ أَمَّ لَهُمَّ عَاذَاتُ يَسْمَعُونَ بَهِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

يقال: «سمعته وسمعت به، واستمعوه وتسامعوا به، واستمع إلى حديثه، وألقى إليه سمعه، وملأ مسمعيه ومسامعه وسامعته، وهو منّي بمرأى ومسمع. وسمّع به: نوّه به. وفعل كذا رياء وسمعة، وإنما يفعل هذا تسمعة وترئية، وذهب سمعه في الناس: صيته» (٢).

والاستماع: الإصغاء بقصد الفهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَّا قُرِئَ ٱلْقُرْمَانُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَالاستماع: الإصغاء خفية؛ وهو مصدر تسمّع؛ أي: أصغى إليه خفية (٤). الأعراف: ٢٠٤] منه التسمّع: الإصغاء خفية؛ وهو مصدر تسمّع؛ أي: أصغى إليه خفية (٤).

ويعتبر أحد الحواس الخمس المعروفة: السمع، البصر، الذوق، اللمس، الشم.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

وقد جاء تعريفه في كتب الاصطلاح أنه: «قوة في الكاثن الحي تدرك بها الأصوات بواسطة الأذن» (٥).

وهذا على عمومه في الكائنات الحية، أما باعتبار تخصيص الإنسان فيمكن تعريفه بأنه: الحاسة التي وهبها الله للإنسان؛ ليتمكن بها من إدراك الكلام والأصوات.

⁽٥) ٥ انظر: عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ٢/ ٢٢، التعريفات، الجرجاني، ص ١٦١.



⁽١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ١/ ٥١١.

⁽٢) أساس البلاغة، الزمخشري ١/٤٧٤.

⁽٣) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٤٩.

⁽٤) ٤ انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عبد الحميد عمر ١١٠٨/٢.

السمع في الاستعمال القرآني

وردت مادة (سمع) في القرآن الكريم (١٨٥) مرة (١). والصيغ التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سِعُوا لَمَّا شَبِيقًا وَهِي تَفُورُ ١٧٠ ﴾ [الملك:٧]	37	الفعل الماضي
﴿ أَمْ يَصْبَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَيَجُونِهُم ﴾ [الزخوف: ٨٠]	11	الفعل المضارع
﴿ إِنِّ ءَامَنتُ بِرَيِّكُمْ فَأَسْمَعُونِ اللَّهِ ﴿ إِنِّ ٤٠]	١٣	الفعل الأمر
﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصِ لَ وَالْأَفِيدَةَ فَيلًا مَّا لَقَيْدَةً فَيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿ السجدة: ٩]	**	المصدر
﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعِ مِّن فِي ٱلْقُبُورِ ١٤٣ ﴾ [فاطر: ٢٢]	٣	اسم الفاعل
﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعِ ﴾ [النساء:٢٦]	١	اسم المفعول
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ مَنَى اللهِ وَهُو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ اللهِ الهِ ا	٤٧	الصفة المشبهة
﴿سَتَنعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة:٢٤]	٤	صيغة المبالغة

وجاء السمع في القرآن على ثلاثة أوجه (٢):

الأول: سمع الصوت: ومنه قوله تعالى: ﴿ مِمْ مُوا لَمُ اتَّنَيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢].

الثاني: سمع القلب وفهمه: ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمَّعًا ﴾ [الكهف: ١٠١] يعنى: لا يستطيعون سمعًا بقلوبهم وفهمًا للحق.

. الثالث: الإجابة والقبول: ومنه قوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَلِّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٨] يعني: مجيب الدعاء.

⁽۱) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٣٥٨-٣٦١، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب السين ص٣٣٤-٦٣٨.

⁽٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ٢٦١-٢٦٢، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٣/ ٢٥٧-٢٦٠، نزهة الأعين النواظر، ص ٣٤٥-٤٢٦.

الألفاظ ذات الصلة

١ البصر:

البصر لغة:

قوة في الكائن الحي تدرك المرئيات بواسطة العين(١).

البصر اصطلاحًا:

هو تلك القوة الربانية التي أوجدها الله في عيني الإنسان ليدرك بها ما حوله، وأودعها في قلبه وعقله ليميز بين الخبيث والطيب، ويختار لنفسه الطريق الصحيح.

الصلة بين السمع والبصر:

هناك فرقان بارزان بين السمع والبصر:

الأول: فرق في الآلة فهي في السمع: الأذن، وفي البصر: العين، وكلاهما يحتاج إلى العقل المدرك؛ ليدلا على الاصطلاح القرآني لهما، وبدونه تكون الدلالة فيهما على المعنى اللغوي فقط.

الثاني: في المدركات بهما؛ فالمدركات بالسمع الكلام والأصوات، والمدركات بالبصر الصور الهيئات.

٢ الاستماع:

الاستماع لغة:

سماع الكلام بقصد، والإقبال عليه؛ للاستفادة منه (٢).

الاستماع اصطلاحًا:

الإقبال بالسمع؛ للتفهم والاعتبار (٣).

الصلة بين السمع والاستماع:

في اللغة السمع يكون بدون قصد، بينما الاستماع مصحوبًا بقصد. وقيل: السمع هو صفة موهوبة، والاستماع فعل مكتسب(٤).

⁽٤) انظر: المصادر السابقة.



⁽١) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٤٦.

⁽٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٤٩.

⁽٣) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٤٩، معجم الصواب اللغوي أحمد مختار عمر ١١٧١.

٣ الإنصات:

الإنصات لغة:

يدل على السكوت والاستماع للحديث، يقال أنصت: إذا سكت سكوت مستمع (١). الانصات اصطلاحًا:

هو سماع للكلام المؤدي إلى النظر والاستدلال، والاهتداء بما جاء في القرآن (٢). الصلة بين السمع والإنصات:

يزيد الإنصات عن السمع؛ بكونه مصحوبًا بالنظر والاستدلال، زيادة على الفهم الأولي، فقد يفهم المرء الكلام فهمًا نافعًا بعد سماعه، لكنه إذا تأمله ونظر فيه؛ خرج منه بفوائد وأحكام زائدة.

٤ الإصفاء:

الإصغاء لغة:

والإصغاء: الإمالة (٢)، وكل شيء مال إلى شيء أو معه (٤)، ويقال: أصغى إليه برأسه وبأذنه: أمالها يسمع، والإناء: أماله؛ ليصب ما فيه (٥).

الإصغاء اصطلاحًا:

هو ميل القلب وهواه للكلام^(٢).

الصلة بين السمع والإصغاء:

السمع هو القوة التي يسمع بها المرء الأصوات، من غير ميل سابق لمعناها، أما الإصغاء فهو استماع لما يهواه المرء.

وقيل: السمع: هو الصفة التي يستطيع المرء بها فهم الكلام النافع، وتدبره والانتفاع به، أما الإصغاء: فهو استماع كلام الباطل، والميل له ومحبته.

⁽١) الفروق اللغوية، العسكري ص ٤٩.

⁽٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧٩٨/٩.

⁽٣) العين، الفراهيدي ٤/ ٤٣٢.

⁽٤) كتاب الأفعال، ابن القطاع ٢/ ٢٥٦.

⁽٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٥١٥.

⁽٦) جامع البيان، الطبري ١٢/٥٩.

٥ الصمم:

الصمم لغة:

الصمم آفة تمنع من السمع، وتضعفه، وأصله الصلابة، ومنه الحجر الأصم(١).

الصمم اصطلاحًا:

انعدام سماع الحق والخير والهدى على سبيل الاتباع والانتفاع (٢).

الصلة بين الصمم والسمع:

هي علاقة تناقض، فهو على النقيض من السمع لغة واصطلاحًا.

٦ الوقر:

الوقر لغة:

هو الثقل في الأذن، ويطلق على الثقل المحمول ($^{(7)}$)، «ويقال للذي يسمع بعض السمع، في أذنيه وقر» ($^{(2)}$).

الوقر اصطلاحًا:

ثقل عن فهم ما يتلى عليهم من القرآن، وما يدعوهم إليه النبي من الإيمان (٥) فهمًا ينفعهم. الصلة بينه الوقر وبين السمع:

علاقة تضاد، فقد يجتمع للإنسان سمع ضعيف، وصمم ضعيف؛ فيكون سببه الوقر، وهو الثقل في الأذن، وفي الاصطلاح: يسمع الإنسان القرآن ويفهمه، لكن لا ينتفع به؛ فيكون بسبب ما جعله الله من الوقر في أذنه بسبب إعراضه.

⁽٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١١/ ٣٠٦، المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٢٠.



⁽۱) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ۱۲/ ۸۸، لسان العرب، ابن منظور ۱۲/ ۳٤۲، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ۱/ ۵۱.

⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٣٣١.

⁽٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٩/ ٢١٥، الصحاح، الجوهري ٢/ ٨٤٨، مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ١٣٢.

⁽٤) المخصص، ابن سيده ١/ ٩٢.

وغيرها من مواضع.

وقد استنبط العلماء المعاصرون من تقديم السمع على البصر حِكَمًا عديدة، منها:

 فضل السمع على البصر إذ تعتبر حاسة السمع أهم للإنسان من حاسة البصر؛ لأن الفرد الأعمى يعتبر معزولًا عن عالم الأشياء، أما الأصم فإنه يعتبر معزولًا عن عالم البشر(١١).

أكيد الدور الذي تقوم به الأذن؛ إذ إن الاحساسات الصوتية التي يسمعها الإنسان بأذنيه تصل مستوى الوعي أحسن من تلك التي تصله عن غير طريقهما كالبصر مثلاً، والذاكرة السمعية أرسخ من الذاكرة البصرية (١)، وما أجمل الوصف القرآني للدور الإيجابي الذي تقوم به الأذن في وعي المؤمن إذ يقول تعالى: ﴿لِنَجْمَلُهَا لَكُرُهُ وَتَعِيماً أَذُنُّ وَعِيهُ السَّهِ الحالة الحالة المؤمن إذ يقول تعالى: ﴿لِنَجْمَلُها لَكُرُهُ وَتَعِيماً أَذُنُّ وَعِيهاً أَذُنُّ وَعِيها المؤمن إذ يقول تعالى: ﴿لِنَجْمَلُها لَكُرُهُ الصَافَة: ١٢].

 ٣. وفي تقديم السمع على البصر لمحة إعجازية طبية إذ ثبت علميا أن «جهاز السمع يتطور ويتكامل جنينيًّا قبل جهاز قرن الله عز وجل في القرآن ذكر السمع مع البصر المتعلقان بالإنسان في (٣٨) آية كريمة.

وقد قدم القرآن ذكر السمع على البصر في أكثر الآيات، مما يدل على الأهمية الكبرى للعمل الذي يقوم به السمع في حياة الإنسان تعلمًا وتعليمًا.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُمْ لَا تَعْلَمُونِ أَمَّهَا يَكُمُ لَا تَعْلَمُونِ أَمَّهَا يَكُمُ لَا تَعْلَمُونِ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْدِدَةً لَلّهُ لَمْ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْدِدَةً لَلْكُمْ تَشْكُرُونَ اللهِ [النحل:٧٨].

وقُوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّدُهُ وَنَفَخَ فِيهِمِن رُّوجِهِ " وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَلِ وَٱلْأَفَعُدَةً قَلِيلًا مَّا لَسَّمُ كُرُونِ فَلَ السَّمْعَ وَاللَّابِصِلَ وَالْأَفَعُدَةً

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ. عِلْمُ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَتِهِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُولًا ۞ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِن السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّن يَسْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُمْرُجُ
الْحَىَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُعْرِجُ الْمَيْتَ مِن الْحَيِّ وَمَن
يُدَيِّرُ الْأَضَّ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَنْقُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَنْقُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْلَهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْلَمُ اللَّهُ اللْمُولَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُ اللْمُولِي اللَّهُ اللْمُولِي الللْمُولِي اللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُولِي اللللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُولِي الْمُولِي اللللْمُولِي اللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُولِي الللْمُول

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي ٓ أَنَشَأَ لَكُو ٱلسَّمَعَ وَٱلْأَبْصَدَرُ وَٱلْأَفْتِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَا تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهِ مَا تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهِ مَا تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهِ مَا لَا اللَّهِ مَا وَنَاكُمُ اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا تَشْكُرُونَ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ الللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ

اقتران السمع والبصر

⁽۱) انظر: الإدراك الحسي البصري والسمعي، السيد علي سيد أحمد وفائقة محمد بدر، ص: ٢٥٣.

⁽٢) انظر: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر، صادق الهلالي، مجلة الإعجاز، ص: ٩-١٠.

البصر»(۱)، فبعد تبصرنا في الحقائق العلمية التي عرفت حديثا في علوم الأجنة والتشريح والفيزولوجيا والطب اتضح لنا الإعجاز العلمي في الآيات الكريمة التي تقدم فيها السمع على البصر، وخلاصة ما قاله العلماء في هذا المجال: هو أن القرآن الكريم قدم حاسة السمع على حاسة البصر ليشير الى حقيقة علمية تتعلق بزمن تكون حاسة كل منهما وتشكلها، فحاسة السمع تكون وتتشكل قبل حاسة البصر حسب الآتي:

- جهاز السمع يتطور جنينيًّا قبل جهاز البصر، ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين الحجم الطبيعي له عند البالغين، بينما لا يتكامل نضوج العينين إلا عند السنة العاشرة من العمر.
- يبدأ الجنين بسماع الأصوات وهو في رحم أمه وفي الشهر الخامس من حياته الجنينية، ولكنه لا يبصر النور والصور إلا بعد ولادته.
- تتطور وتنضج كل المناطق والطرق السمعية العصبية قبل تطور ونضوج مثيلاتها البصرية بفترة طويلة نسبيًا. فكل الآيات التي تشير إلى خلق الإنسان

ويلاحظ أيضًا أن القرآن الكريم يفصل عند كلامه عن السمع والبصر بين أداة الحس (العين والأذن)، وقوة الإدراك (السمع والبصر)، فعند كلامه عن أداة الحس العين والأذن يقدم العين على الأذن، وذلك لأن العين تقع أمام الأذن في صنعة الله في رأس الإنسان، وهما أداتان لنقل الإشارات الحسية السمعية والبصرية إلى حيث يتم إدراكها وفهمها داخل مراكز السمع والبصر

فَمثلًا يقول الله تعالى: ﴿ وَكَنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْمَارِثِ بِٱلْمَانِينِ وَٱلْمَانِثِ بِٱلْأَذُنِ ﴾ وَٱلْأَذُنِ ﴾ وَٱلْأَذُنِ ﴾

[المائدة: ٥٤].

وأما إذا تكلم القرآن عن السمع والبصر

⁽٢) انظر: الإعجاز العلمي في السمع والبصر في القرآن الكريم، صادق الهلالي، وحسين اللبيدي، هيئة الإعجاز العلمي، جدة ٢٠٠٦/١٤٢٧،

⁽١) انظر: المصدر السابق ص٧.

كقوى مدركة فيقدم السمع، وذلك لأن مركز السمع يتقدم على مركز البصر داخل المخ البشري، وهنا موطن الإعجاز في تطابق الإخبار عن هذين الأمرين.

وخلاصة القول في الإعجاز المتعلق بآيات السمع والبصر: أن هذه الآيات الفصلت بين الأعضاء (العين والأذن)، وبين القوى المدركة (السمع والبصر) وفي صنعة الله ما يطابق ذلك، فهناك أعضاء حس لاستقبال المؤثرات الحسية، وهناك مراكز داخل المخ البشري تتم فيها عملية الإدراك والفهم لهذه المؤثرات الحسية.

السمع في حق الله عز وجل

من صفات الله تعالى وأسمائه السميع، وهذا الأمر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وقد دل على ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم، وقد ذكر الله تعالى هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم ثمان وثلاثين مرة بصيغة فعيل منكرًا ومعرفًا: (سميع).

وذكر هذا الوصف بصيغة الماضي (سمع) والمضارع (يسمع) و (نسمع)، وصيغة التعجب (أسمع).

وقد جاء ذكر سمع الله تعالى مقترنًا بأمور هي:

اقترنت صفة السمع في معظم آيات القرآن بصفة العلم، بل تقدمت عليها(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَ يَرَفَعُ إِبَرَهِعُمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَعِيلُ رَبِّنَا فَقَبَّلُ مِنَا ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْقَلِيمُ رَبَّنَا فَقَبَّلُ مِنَا ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْقَلِيمُ (البقرة: ١٢٧].

اقترنت أحيانًا صفة السمع بالبصر
 كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ مَا فَي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ مَا فَي قَوْلُهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ اللهِ مَا لَهُ الْسَمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ اللهِ المَا اللهِ اللهِ اللهِ

٣. اقترنت صفة السمع بالقرب، كما

⁽۲) انظر: معجم كلمات القرآن العظيم، محمد عدنان سالم و محمد وهبي سليمان، ص ۲۰۷-۲۰۷.

⁽١) انظر: الإعجاز العلمي في السمع والبصر في القرآن الكريم، صادق الهلالي، وحسين اللبيدي، هيئة الإعجاز العلمي، ص ٥١.

ولعل اقتران صفة السمع بصفات البصر والعلم والقرب للدلالة على حضور هذه الصفة في كل آن وفي كل مكان، فكما أن الله تعالى يرى ويعلم كل شيء، وهو قريب من كل شيء، فهو كذلك يسمع كل شيء، سبحانه ما أعظم شأنه وما أجل سلطانه.

وقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه الأسماء والصفات في: باب ما جاء في إثبات صفة السمع، أحاديثَ عديدة دالة على ثبوت صفة السمع لله تعالى (١).

ومنها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْسَمِعَ اللهُ قَوْلَ اللَّي تُجَدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١]) (٢).

مسؤولية السمع

إن الله تعالى وهبنا نعمًا كثيرة لا تحصى، ومنها نعمة السمع التي تستحق منا شكره عليها، ولكن قليلًا من الناس من يشكر الله على هذه النعم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي َ أَنْنَأَ لَكُو السَّمَعَ وَالْأَبْصَدُو وَالْأَفْدِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞ ﴾ [المؤمنون:٧٨].

وقد حملنا الله مسؤولية تجاه هذه النعمة التي سيسألنا عنها، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَٱلْمُصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَيَهِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُولًا ﴿ الْإِسراء:٣٦].

لذا فمسؤوليتنا تجاه السمع تكون بأن نستخدمه في الأمور النافعة لنا في دنيانا وأخرانا، وأن نصونه عما يضرنا في دنيانا وأخرانا.

أولًا: استخدام السمع في الأمور النافعة:

ومن ذلك:

 استخدام السمع في التعلم والتدبر وأخذ العبرة.

جعل الله السمع وسيلة أساسية في التعلم وتلقي العلوم، ولولاه لما استطاع الإنسان أن يتعلم العلم النافع. وجعل الله السمع أيضا وسيلة لإدراك عظمة الله وأخذ العبرة عبر إدراك آياته في الأنفس وفي الآفاق أو

وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٧/ ١٧٥.

⁽۱) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ص ۲۸۸-۲۹۲.

⁽٢) علقه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وكانه الله سميعًا بصيرًا)، ١١٧/٩، وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، ١٨٧٢، رقم ١٨٨٨.

في التاريخ، فقال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَنيْهِ ، مَنَامُكُو مِاللَّهِ وَالنَّهَارِ وَٱلْمَنِعَا أَوْكُمُ مِن فَصَّلِهِ اللَّهِ اللَّهِ وَالنَّهَارِ وَٱلْمَنِعَا أَوْكُمُ مِن فَصَّلِهِ اللَّهِ اللَّهَ عَلَيْتِ لِقَوْمِ يَسْمَعُونَ اللَّهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

فالنوم ليلًا أو نهارًا هو من الآيات الدالة على قدرة الخالق سبحانه، وطريقة معرفة كونه آية من آيات الله هو الاستماع لأهل العلم والاختصاص، ولا يتم ذلك إلا بحاسة السمع، وكذلك فمن لم يتأمل آيات الله في النوم فهو كالنائم الذي لا يسمع.

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَمْ يَهْدِ لَمُمْ كُمْ الْمُلْمِ يَهْدِ لَمُمْ كُمْ الْمُلْكِئِنَا مِن قَبْلِهِم مِنَ الْقُدُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ أَنِيَ فِي ذَلِكَ لَآينَتٍ أَفَلاً يَسْمَعُونَ مَسَكِنِهِمْ أَنِيَ فِي ذَلِكَ لَآينَتٍ أَفَلاً يَسْمَعُونَ فَي مَسَكِنِهِمْ أَنِيَ فِي ذَلِكَ لَآينَتٍ أَفَلاً يَسْمَعُونَ فَي السَّجَدة ٢٦].

فقال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ لأن طريقة معرفة إهلاك القرون الأولى إنما وصل إليهم عن طريق السمع، وليس عن مجرد التفكير والاستنباط، فمن كانت له أذن واعية يتعظ ويهتدي.

حث المؤمنين على الاستماع للقرآن الله ورسوله القرآن الله ورسوله صلى تَغْلِبُونَ الله ورسوله صلى تَغْلِبُونَ الله ورسوله صلى تَغْلِبُونَ الله وسلم.
 الله عليه وسلم.

أي كتاب أجدر من كتاب الله تعالى بالاستماع إليه والتأمل فيه وتدبره والعمل مه؟

ولا يكون ذلك إلا بالاستماع إلى آياته، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُـرْمَانُ

فَأَسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞﴾ [الأعراف:٢٠٤].

ومدح الله تعالى وفد النجاشي الذين استمعوا للقرآن وآمنوا به، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ رَّكَ آعَيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَقُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٨٣].

وبالمقابل ذم الله تعالى الذين لا يستمعون للقرآن فقال: ﴿ وَبُلِّ لِكُلِّ أَفَّاكِ أَيْهِ يَستمعون للقرآن فقال: ﴿ وَبُلِّ لِكُلِّ أَفَّاكِ أَيْهِ اللهِ مَنْ يُصِرُّ مُسْتَكَبِرا كَأَن لَا يَسْمَعُما فَبَشِرَهُ مِعَدَابٍ أَلِيمٍ ﴿ ﴾ [الجاثية:٧-٨].

وقال أيضًا: ﴿ مَا يَأْلِيهِمْ مِن ذِكْرِ مِن وَكْرِ مِن وَكُرِ مِن وَكُرِ مِن وَكُرِ مِن وَكَمْ يَلْمَبُونَ ﴿ وَهُمْ يَلْمَبُونَ ﴾ [الأنساء: ٢].

وإن قسمًا من هؤلاء الكافرين ينهى عن الاستماع للقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهِ مَا كَانَهُ وَأَلْكُمُ اللَّهُ مَا الله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ مَا كُولُهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّالُمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّالُّ اللَّهُ مِنْ اللّ

ومن سمات المؤمنين أنهم بمجرد سماع أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنهم يطيعون.

قال الله تعالى: ﴿ مَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أَنْدِلَ اللهِ تعالى: ﴿ مَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أَنْدِلَ اللهِ مِن زَيِّيهِ وَٱلْمُوْمِنُونَ كُلُّ مَامَنَ بِاللهِ وَمَلَتَهِكِيهِ وَاللهُ مَا اللهُ عَلَيْكِيهِ وَرُسُلِهِ وَلَا نُغَرَّقُ بَيْنَ ٱحَدِيقِن رُسُلِهِ وَلَا نُغَرَّقُ بَيْنَ ٱحَدِيقِن رُسُلِهِ وَاللهِ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ وَلَا نُغَرَّقُ بَيْنَ اللهِ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَلَا نُغَرِّقُ بَيْنَ اللهِ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ وَلَا نُغَرِّقُ بَيْنَ اللهِ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَلَا نُعَرِّقُ بَيْنَ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ا

وَكَالُواْ سَيِعْنَا وَأَطَمْنَا أَعُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلْيَكَ الْمَمِيدُ اللهِ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهُ مَا اَسْتَطَعْتُمُ وَاَسْمَعُوا خَيْرًا وَأَسْمَعُوا خَيْرًا لِللَّهِ فَوَا خَيْرًا لِإِنْفَسِكُمْ ﴾ [التغابن:١٦].

وقال تعالى أيضا: ﴿إِنَّمَاكَانَ فَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَكُمُ أَن يَقُولُوا سَيعَنَا وَأَلْمَعْنَا وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ ﴿ اللهِ وَالنور: ٥١].
[النور: ٥١].

خلافًا للكافرين الذين ﴿ فَالُوا سَمِعْنَا ﴿ وَعَالُوا سَمِعْنَا ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣].

ثانيًا: صيانة استخدام السمع في الأمور الضارة:

 صيانة السمع عن الغيبة وإشاعة الأخبار الكاذبة.

جعل الله عرض المسلم محرمًا على غيره من المسلمين، فلا يجوز قدح المؤمنين وذمهم وخصوصًا عند غيابهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبُ أَمْضُكُم بَعَضًا ﴾ [الحجرات: ١٢].

فمن سمع الغيبة يشترك مع المغتاب في أكل لحم أخيه ميتًا.

ومن باب الحفاظ على عرض المسلم أن لا يتكلم المرء بكل ما ينقل له عن المسلمين، بل عليه أن يتأكد ويتحرى قبل أن ينقل أي كلام، ولهذا قال الله تعالى معاتبًا

الذين سمعوا حادثة الإفك وأشاعوها، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ سَيِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن تَتَكَلَّمَ مِهُذَا سُبْحَنكَ هَلَا اللهِ مَا يَعْلِيمُ اللهِ اللهِ ١٦٠]. [النور: ١٦].

وكذلك فإن المسلم عليه أن يتحرى كل ما ينقل إليه من الناس الفاسقين.

قال الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوّا إِن جَاءَكُرُ فَاسِقُ بِنَا فِنَبَيْنُوا أَن تُصِيبُوا فَوْمًا بِجَهَلَلُو فَنُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَكِيمِينَ ۞ ﴾ [الحجرات:٦].

وقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم لما ذمه المنافقون بأنه يصدق كل ما يقال له، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُوَّذُونَ ٱلنَّيِيَ وَيَقُولُونَ مُو أَذُنَّ قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لّكَمْمُ ﴾ وَيَقُولُونَ هُو أَذُنَّ قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لّكُمْمُ ﴾ [التوبة: ٢١].

فالمؤمن أذن خير ينقل الخير ولا ينقل الشر، ويتحرى في نقله.

صيانة السمع عن الاستماع للخائضين
 في ذم الدين الإسلامي.

نهى الله تعالى المؤمنين أن يجلسوا في مجلس فيه كفر بالله وآياته، أو فيه استهزاء بأي شيء متعلق بالإسلام، فقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِنْبِ أَنْ إِذَا سَمِعْمُمْ عَالَيْتِ اللّهِ يُكُفّرُ مِهَا وَيُسْنَهُزَأُ بِهَا فَلَانَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَى يَغُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [النساء: ١٤].

فالمسلم يصون سمعه عن مجالسة المفسدين في الأرض الذين يذمون الإسلام والمسلمين بإعلامهم الكاذب، ويحبون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، ويذيعون الأخبار الكاذبة عنهم، ويخوفون المؤمنين من تطبيق أحكام الشريعة وغيرها، قال الله تعالى يذم المنافقين الذين يفشون أسرار المؤمنين لأعدائهم: ﴿ وَإِذَاجَاءَهُمْ أَمُرُّمِنَ الْأَمْنِ أَوْ النساء: ٨٣].

ومن هؤلاء الأشرار ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهُو الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَمَا يَشْرِ اللّهِ وَالْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَمَا يَقْرَب إليه من قراءة قرآن وذكر الله، وذلك بالغناء والاستماع له، وبكل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله، فعن مجاهد: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهُو فعن مجاهد: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهُو لَلْهِ وَكُلِ الْمُعَاءِ والاستماع له وكل لهو.

وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهُو الْحَكِيثِ لِيُضِلُّ عَن سَيْسِ لِللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًّا ﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَإِذَا نُتَّلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَنْنُنَا وَلَىٰ مُسْتَكِيرًا كَأَن لَّهُ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أَذُنيَهِ وَقَرًا * فَبَشِرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيهٍ ﴿ ﴾ كَأَنَّ فِي أَذُنيَهِ وَقَرًا * فَبَشِرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيهٍ ﴿ ﴾ القمان:٧].

فليس هكذا أهل الإسلام، فسمع المؤمن يشبه النحلة التي تقع على الزهور فتخرج منها عسلا صافيا فيه شفاء للناس، وأما المنافق والكافر فسمعه كالذباب لا يقع إلا على الأوساخ.

أساليب ذكر السمع في القرآن الكريم

تنّوعت أساليب القرآن الكريم في الحديث عن السمع، وسوف نتناول ذلك بالبيان فيما يأتى:

أولًا: أسلوب المدح:

قال الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرَ عِبَادِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

فقد مدح الله تعالى أصحاب العقول والحجا، الذين يستمعون القول، ويفهمون ما سمعوه، ويستثمرون فهمهم في العمل الصالح، ويتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد، فأولئك وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن إصابة الحق ويعبدون ما لا يضر ولا ينفع (۱).

وجعل القرآن من صفة المؤمن الإجابة لحكم الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويتعرض للتعبير عن ذلك بقولهم: سمعنا وأطعنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ مَوْلُهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ ورَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَاهُمُ أَن يَقُولُوا سَيعْنَا وَأَطَعَنا وَأُولَتِهِ كَا هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ ﴾ أَن يَقُولُوا سَيعْنَا وَأَطَعَنا وَأُولَتِهِ كَا هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ ﴾

⁽١) جامع البيان ٢٢/ ٢٤٥.

[النور: ٥١].

ومن صفات المؤمنين: التأثر والخشوع عند سماع القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى ٱ أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ ٱلْحَقِ ﴾ [المائدة: مِنَ ٱلْحَقِ ﴾ [المائدة: ٨٣].

ثانيًا: أسلوب الذم:

ذم القرآن أولئك الذين لا يعملون بما سمعوه من حق، وجعلهم كالصم K بل في دركة أدنى من الحيوان ﴿ وَلَمْمَ مَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ مِنَا أَوْلَكُمْ مَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ مِنَا الْحَيوان ﴿ وَلَمْمَ مَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ مِنَا الْحَيوان الْحَيوان الْحَيالُ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

بل جعل القرآن من لا يؤمن بما سمع من الحق كالميت K قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمُوَقِّ وَلَا تُشْمِعُ الشَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِينَ ﴿ الْمُوقِي وَلَا تُسْمِعُ الشَّمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُواْ مُدْبِينَ الْمُمْعِ عَن صَلَالَتِهِمُّ إِن تُسْمِعُ إِلّا مَن يُومِنُ مِعَالِكِتِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ ﴾ [النمل: الله عليه وسلم بأنه ليس بهاد عن الضلالة من أعماه الله عن الهدى والرشاد، وأمات من أعماه الله عن الهدى والرشاد، وأمات قلبه، ولا يمكنه أن يسمع إلا من يصدق بآياته؛ فهم مسلمون مطيعون مستجيبون لما دعوتهم إليه (۱).

(۱) قال ابن جزيّ الغرناطي: «أكد عدم سماعهم بقوله: ﴿ أَنَّ وَلَوْا مُدْيِنَ ﴾؛ لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعي، زاد صممه وعدم سماعه بالكلية».

انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيّ ٢/

وقال الواحدي: «إنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه من التوحيد؛ كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، وكالصم الذين لا يسمعون، وما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان»(٢).

ثالثًا: أسلوب الأمر:

أتى ذلك في آيات عديدة مثل قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوَقَكُمُ وَرَفَعْنَا فَوَقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْمَا ءَاتَيْنَكُمُ لِعُوَّةٍ وَالبقرة: ٩٣].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بني إسرائيل بالأخذ بما نزل في كتابهم بثبات وعزم وفاعلية، ثم أمرهم بالسمع الذي يفيد الطاعة المباشرة، واختلف السياق حينما تحدث القرآن عن المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالأسلوب نفسه فقال تعالى:

﴿ فَأَنْقُوا اللّهُ مَا اسْتَطَعَتُمُ وَاسْمَعُوا وَالْطِيعُوا ﴾ النغابن: ١٦] فالفرق هنا أن الأمر بالسمع جاء بعد الأمر بالتقوى بقدر الاستطاعة.

وأما خطاب بني إسرائيل فكان الأمر فيه مشددًا ومؤكدًا بتذكيرهم بعهد الله عليهم بالأخذ بأوامر التوراة بقوة ونشاط وجد والاستماع والطاعة لما فيها من أوامر إلا أن بني إسرائيل تعنتوا في طاعة نبيهم موسى عليه السلام فقالوا:

1.1

(٢) الوسيط، الواحدي ٣/ ٣٨٤.

[البقرة: ٩٣].

ويأمر الله تعالى المؤمنين بالاستماع والإنصات إلى آيات الله عند ما تتلى عليهم؟ ليتدبروها، ويتفكروا بها؛ طمعًا في أن تتنزل عليهم رحمة الله تعالى فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَكَ اللّهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَكَ اللّهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَكَ اللّهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَكَ اللّهُ تَعْمُونَ ﴾ الله تعالى فقال: ﴿ وَإِذَا قُرْمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وكذلك يأمر الله تعالى الناس مؤمنهم وكافرهم أن يستمعوا لمثل من أمثاله العجيبة، التي يضربها الله تعالى في القرآن؛ لإثبات وحدانيته وقدرته على الخلق والإبداع؛ فيؤمن به المؤمنون، وتقوم به الحجة على الكافرين، وليثبت لهم انتفاء ألوهية من سواه سبحانه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهُا النَّاسُ مَبْرِبُ مَنَلُ فَالسّتَمِعُوا لَهُ أَ إِنَّ الّذِيكَ تَدْعُونَ مَنْ مَوْنِ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبُابًا وَلَو الْجَمْتُمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مَوْنِ اللّهِ لَن يَعْلُقُوا ذُبكابًا وَلَو الْجَمْتُمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مُونِ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبكابًا وَلَو الجَمْتَمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مُونِ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبكابًا وَلَو الجَمْتَمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مَنْ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبكابًا وَلَو الجَمْتَمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مُنْ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبكابًا وَلَو الجَمْتَمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مُنْ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا ذُبكابًا وَلَو الجَمْتُمُوا لَهُ أَلِي مَنْ مُنْ اللّهِ لَن يَعْلَقُوا وَلُوا اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ وَالْمُطَلّقُوبُ ﴾ [الحج: ٢٧].

فالخلق كلهم ليسوا فقط عاجزين عن خلق ذباب، بل هم أضعف من ذلك، إن سلبهم الذباب شيئًا لا يستطيعون إرجاعه؛ لأنه تحلل بمجرد امتصاص الذباب له، فمن عجز عن فعل ذلك؛ فهو عاجز -من باب أولى- أن يخلق، فإن ثبت عجزه؛ ثبت أنه ليس بإله، فكيف له أن يدعي الألوهية من دون الله تعالى ؟! ومن هنا كان جديرًا بكل الناس أن يستمعوا لهذا المثل؛ ليعتبروا.

رابعًا: أسلوب النهى:

ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَا لَذِينَ قَالُوا سَكِمْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١].

فجاء النهي عن أن يكون المؤمن مثل أولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة السمع، بيد أنهم عطلوها؛ بعدم اتباعهم للحق؛ فكأنهم لا سمع لهم أصلًا؛ ولهذا قال تعالى:

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَحْتُرُهُمْ كَلْنِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

أما المؤمنون فمن صفاتهم سماع أوامر الله تعالى وطاعة تلك الأوامر؛ ولهذا مدح الله المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُرُ بَيْنَكُمُ أَنْ يَقُولُوا اسْمِعْنَا وَأَطْعَنَا وَأُولَاتِهِ كَمُ الْمُقْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١]. خامسًا: أسلوب التوكيد:

ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أَوْلَيْهِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

أكد كلامه عن وسائل المعرفة الإنسانية السمع والبصر والفؤاد بـ(إن)، و(كل)، والجملة الاسمية؛ وذلك لتمكين المعنى في نفوس المخاطبين، وهو أن وسائل المعرفة والإدراك العظيمة هذه سيسأل عنها الإنسان يوم القيامة.

ونجد أسلوبًا آخر للتوكيد في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَّ أَنْشَأَ لَكُو السَّمْعَ وَٱلْأَبْصَنَرَ وَالْمُؤْفَدِدَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

فقد أكد الجملة بضمير الشأن (هو)؛ ليفيد القصر والاختصاص بأنه تعالى وحده وهب الإنسان وسائل المعرفة «وإنما خص السمع والأبصار والأفئدة؛ لأنه يتعلق بها المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها، ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم، ومن لم يعملها فيما خلقت له؛ فهو بمنزلة عادمها، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَدُونَ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَدُونَ وَلَا أَنْ الله عَلَى الله وأفعاله، ثم قال الله وأنانى: ﴿فَمَا أَنْ الله عَلَى الله عَلَيْ الله عَلَى اله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى ال

ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها، وأن لا يجعل له ندّ ولا شريك» (١٠).

سادسًا: أسلوب الاستفهام الإنكاري:

ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَّهَ يَنْمُ اللهِ اللهِ يَوْمِ الْقِينَةِ مَنْ إِنْ جَمَلَ اللّهُ عَلَيْتِكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِينَةِ مَنْ إِلَىٰ خَمْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمُ بِضِيلَا أَوْ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [القصص: ٧١].

فهنا أنكر على المشركين عدم استثمارهم لنعمة السمع في إدراك الحقائق الكونية والتفكر فيها، ومعرفة السنن الإلهية؛ كي

يتعظوا بها، ولا سيما أن حاسة السمع جاءت في سياق الحديث عن الليل الذي تستخدم فيه هذه الحاسة أكثر من غيرها من الحواس. ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَهَدِ هُمُمْ كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَهَدِ هُمُمْ كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَهَدُ هُمُ كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَهَدُ هُمُ كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَهَدُ هُمُ كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَهَدُونَ فِي مَسَاكِنِهِم الله قَلْلَا فِي ذَالِكَ لَا يَنتِ أَفَلًا يَسْمَعُونَ ﴾ [السجدة: ٢٦].

فقد أنكر على الكافرين عدم أخذهم العبرة والعظة (٢) بما سمعوه من قصص الأمم السابقة، التي أهلكها الله تعالى؛ لعصيانها وإنكارها رسالة الأنبياء عليهم السلام.

سابعًا: أسلوب القصر بـ (إنما):

ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونُ وَٱلْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٣٦].

فهنا استخدم أسلوب القصر بإنما؛ لحصر الاستجابة لأوامر الله تعالى في الذين يستفيدون من نعمة السمع حق الاستفادة، ويوظفونها في معرفة المعبود جل جلاله وعبادته كما شرع، أما الكفار الذين حرص النبي على هداهم؛ فلا وسيلة كي يستجيبوا ويؤمنوا به؛ لأنهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون؛ فهم موتى القلوب كقوله تعالى:

⁽٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/ ٢٢٣.

⁽۱) الكشاف، الزمخشري ٣/ ١٩٨ - ١٩٩.

فكما أن الله تعالى هو وحده قادر على أن يبعث الموتى من قبورهم، فهو وحده تعالى قادر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار

بحباة الإيمان، أما أنت يا محمد؛ فلا تقدر على ذلك.

وأما وجه تشبيه الكفرة بالموتى؛ فلأن حياة الروح بالعلم ومعرفة الخالق سبحانه وتعالى كما أن حياة الجسد بالروح(١).

ثامنًا: أسلوب النفى:

ورد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمُمَّ مَاذَانٌ لَّا يُسْبَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

نفي الحق سبحانه وتعالى عن أن يكون للكافرين سمع يرشدهم لمعرفة الحق، واتباعه، وجاءت صيغة الفعل بالمضارع للدلالة على تجدد هذا الأمر، وحدوثه عند هذا الصنف من الناس الذين ستروا نعمة الله بالكفر.

مجالات السمع

تعددت مجالات السمع في القرآن، وهذا ما سوف نبينه فيما يأتي:

١. ذكر السمع في مجال ذكر نعم الله على الإنسان.

فجعل الله له السمع والبصر والفؤاد؛ وذلك حتى يشكره هذا الإنسان، لا أن يكفره.

وتأتى أهمية سمع الإنسان في فهمه لأوامر الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا بين القرآن الكريم لنا نوعين من الناس:

النوع الأول: المؤمنون الذين يستمعون للقرآن وللنبي صلى الله عليه وسلم، ويتبعونهما فيما أمرا ﴿إِن تُسَعِمُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِعَايِنَتِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٨١].

وإذا ما استمع هؤلاء المؤمنون للقرآن يتلي؛ خشعوا، أو بكوا؛ ولهذا يكون جزاؤهم الجنة، حيث لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا ولاكذابًا، ولا يسمعون حسيس جهنم، وهم عنها مبعدون.

ومن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم إذا استمعوا لشيء نافع؛ يتبعونه ويطبقونه فورًا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَـنَّبِعُونَ أَحْسَنُهُ ﴿ [الزمر: ١٨].

وهم أيضًا أبعد ما يكونون عن سماع

⁽۱) انظر: الكشاف، الزمخشري ۲/ ۲۰.

الغيبة أو النميمة أو غيرها، مما حرمه الله تعالى، فآذانهم آذان واعية، تصغي للحق وتعمل به، قال الله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُرُ لَنَجْعَلَهَا لَكُرُ لَنَجْعَلَهَا لَكُرُ لَنَجْعَلَهَا لَكُرُ لَنَجْعَلَهَا أَذُنُ وُعِيدٌ ﴾ [الحاقة: ١٢].

وقال تعالى يمدح مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّاسَمِعْنَا ٱلْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ ﴾[الجن: ١٣].

والنوع الثاني: الكفار والمنافقون والفاسقون، الذين يسمعون للقرآن وللنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعملون بما سمعوه، ويستهزئون بما سمعوه وبالنبي صلى الله عليه وسلم، وينهون غيرهم عن سماع هذا القرآن، ويأمرونهم بأن يلغوا فيه، ولهذا كان سمعهم نقمة عليهم؛ فشبههم الله تعالى بالدواب والموتى وأصحاب القبور. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ

بِمُسَّمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢]. وعاقبهم في الآخرة بسماعهم لزفير جهنم، وعندها يندمون؛ لأنهم لم يستفيدوا

الأمر بالاستماع إلى آيات الله المتلوة وتدبرها.

من أسماعهم، ولا تحين مندم.

قد أمر الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز بأن يتلوا القرآن حق تلاوته، وأن يستمعوا له وينصتوا، وهذا الاستماع هو استماع تدبر وفهم، يتبعه عمل وخشية من الله تعالى ومحبة له سبحانه وتعالى، ومن ثمّ ينتج عن ذلك أمة؛ تكون خير أمة أخرجت

للناس، إنها أمة الشهادة ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأمة الحضارة؛ لأن الحضارة الحقيقية هي بالإنسان الصالح وبالعمل الصالح.

وقد حث الله المؤمنين في آيات كثيرة على تدبر القرآن، والتدبر يأتي بعد الاستماع، والتدبر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة (١١)، وأول الآيات الآمرة بالتدبر نزولاً قوله تعالى: ﴿ كِنْكُ أَزْلُناتُ إِلَيْكَ مُبْرَكُ لِيُمَّبِّرُواً عَلِيدَهِ وَلِيمَالِهُ لِيَكَبُّرُواً الْآلِيَةِ إِلَيْكَ مُبْرَكُ لِيمَّبِرُواً عَلِيدَهِ وَلِيمَالِهُ لِيمَالِكُ لِيمَالِكُ اللهَ المَالِقَ اللهَ اللهَ اللهُ ال

ورقمها حسب النزول هو ثمان وثلاثون، ونشير إلى آيات أخرى حول موضوع التدبر دون ذكر نصها، وهي: المؤمنون: رقم نزولها: أربع وسبعون، رقم الآية: ثمان وستون، والنساء: رقم نزولها: اثنان وتسعون، ورقم الآية: اثنان وثمانون.

ومدح القرآن الكريم المؤمنين الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وهدى، ومدحهم أيضًا في أماكن عديدة أنهم تلين قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله، وتقشعر جلودهم من خشية الله، ويخرون للأذقان سجدًا يبكون، ويزيدهم خشوعًا.

هذه هي الصورة الرائعة التي يعرضها علينا القرآن الكريم عن طائفة السعداء الذين أنعم الله عليهم من ذرية آدم.

وفي المقابل يعرض علينا القرآن صورة

(۱) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبدالرحمن حبنكة ص ۱۰.

المغضوب عليهم، وموقفهم المعادي للقرآن الكريم؛ فهم لا يستمعون لهذا القرآن، ويلغون فيه، ويستهزئون بآيات الله تعالى، ويجعلون القرآن عضين، ويقولون إنه أساطير الأولين؛ فهم لم يروا فيه الحقائق الناصعة، بل زادهم ضلالة وإثمًا وعمى؛ لأن قلوبهم مقفلة، لا يدخلها نور القرآن ولا هداه؛ بما كانوا يكسبون من أعمال فاحشة منكرة، ويبغيهم وطغيانهم في الأرض؛ فأضلهم الله عن صراطه المستقيم، وأعمى أبصارهم عن نوره المبين، وأصم آذانهم عن سماع الحق والقرآن الكريم.

٣. الأمر بالاستماع إلى آيات الله
 الكونية (بمعنى تدبرها والاعتبار بها).

أما المجال الرئيس الآخر لاستخدام السمع بعد الاستماع لكتاب الله المسطور، والأمر بالعمل به واتباعه، والخشوع له عند سماعه، فهو توجيهه نحو الاستماع إلى آيات كتاب الله المنظور في الكون؛ لتدبرها، وأخذ العبرة منها (١).

قال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّهَا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِ ذَالِكَ لَآيَاتِ لِقَوْمِ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

فالله الذي يستحق العبودية وحده، هو الذي له ما في السماوات والأرض، وهو الذي فصل بين الليل والنهار؛ لتسكنوا في الليل من عناء النهار، وإنما قال في الآية:

﴿ لَقَوْمِ يَسْمَعُونَ ﴾ «لأن المراد منه: الذين يسمعون هذه الحجج، ويتفكرون فيها؛ فيعتبرون بها ويتعظون، ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم، ثم يعرضون عن عبره وعظاته ﴾ (٢).

والقرآن الكريم قد حث المؤمنين في آيات كثيرة على التفكر في ملكوت الله تعالى، وفي الكون؛ وذلك لإدراك عظمة الخالق سبحانه، والإذعان لقدرته وسلطانه، وقد قدر العلماء عدد الآيات التي تتناول أمورًا علمية بألف وأربعمائة آية، من مجموع آي القرآن، البالغ عددها ستة آلاف ومائتي آية، أي ما يعادل عشرين بالمائة من مجموع الآيات القرآنية.

والقرآن الكريم مليء بآيات تحث المؤمنين على التفكر والتعلم، مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبِّرُونَ ٱلْقُرْءَاتَ ﴾ [محمد:

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيْنَتِ لِقَوْمِ يَمْ قِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

وغيرها من آيات كثيرة تأمر باستخدام العقل؛ لاكتشاف قوانين الكون، وتسخيرها لمصلحة الإنسان.

الأمر بالاستماع إلى قصص الماضين للاعتبار.

إن الله عز وجل قص علينا في كتابه العزيز أحسن القصص، وذكر كثيرًا من

⁽۱) مفاتيح الغيب، الرازي ۱۷/ ۲۸۰.

⁽۲) جامع البيان، الطبري ۱۷/۲۸۰.

القصص؛ لأخذ العبرة منها ﴿ لَقَدُكَاتَ فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأَوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: 111].

فذكر الله لنا سننه في نصرة أنبيائه وعباده الصالحين، وتوفيقه لهم؛ فقص علينا أحسن القصص، كقصة يوسف وإخوته، وقصة موسى وقومه، وقصة داود وسليمان، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وكذلك قص القرآن علينا قصص الأقوام التي عاقبها الله تعالى، بعد أن عصوا وعتوا عن كل ذكر؛ لنعتبر ونستقيم على شرعه.

فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْمِمَادِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي الْمِلَدِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ الْمَسْخَرَ بِالْوَادِ ﴿ اللَّهِ مَنْمُوا فِي الْمِلَدِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِ اللَّهُ اللَّهُ الللللللللِّلْمُ الللللللْمُ اللللْمُؤْمِ اللللللِّلْمُ الللللللللْمُؤْمِ اللللللْمُولِيَّةُ الللْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللللْمُولِلَّا اللللْمُلْمُؤُمُ اللللللْمُؤُمُ الللللِمُ ا

والاتعاظ بكل ما سبق إنما يكون بعد سماع ما حل بهذه الأقوام من عقوبة إلهية؛ ولهذا استخدم السمع؛ للاعتبار بالأحداث في معرض الكلام عن الأمم السابقة فقال الله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِهُمْ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهُمْ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهُمْ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهُمْ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهُمْ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهِمْ مِن الله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِهُمُ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهُمْ كُمْ أَهْلَكَ نَامِن فَيْهُمْ لِنَا فِي مَسْنَكِنِهِمْ إِنَّ فِي مَسْنَكِنِهِمْ أَنِّ فِي مَسْنَكِنِهِمْ أَنِّ فِي السَجْدة: ٢٦].

وذكر القرآن الكريم فقدان السمع لدى الأصنام، كدليل على أنهم ليسوا بآلهة فقال تعالى: ﴿ وَاَذَكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِبْرَهِمَ ۚ إِنَّهُ مُكَانَ صِدِّيقًا

نَّبِيًّا اللهُ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَأَبَتِ لِمَ تَعَبُّدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْعًا ﴾ [مريم: ٤١-٤٢].

فقد نقض ألوهية الأوثان، وأنها لا تستحق العبادة؛ بكونها لا تسمع، ولا تبصر من يدعوها، وصفة السمع من أهم صفات الألوهية؛ فقد قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُماً أَسْمَعُ وَأَرْكُ ﴾ [طه: ٤٦].

والدعاء مخ العبادة؛ فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي؛ فأي منفعة في عبادته؟!، وإذا كانت لا تبصر بتقرب من تقرب إليها؛ فأي منفعة في ذلك التقرب؟!(١)، والإله يجيب دعاء عباده ﴿ أَمَّن يُحِيبُ ٱلمُضَطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكُشِفُ ٱلسُّوءَ ﴾ [النمل: ٢٢].

والأوثان لا تجيب أحدًا، ثم كيف يليق بالإنسان أن يعبد من هو دونه في الصفات؛ إذ إنه يسمع ويرى، وهذه الأوثان لا تسمع ولا ترى؟

وهكذا نرى كيف اهتم الإسلام بحاسة السمع التي هي آلة مهمة في معرفة الحقائق في كل من الكتابين كتاب الله المسطور (الكون).

موضوعات ذات صلة:

البصر، الرؤية، القرآن

⁽١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/ ٥٤٣.